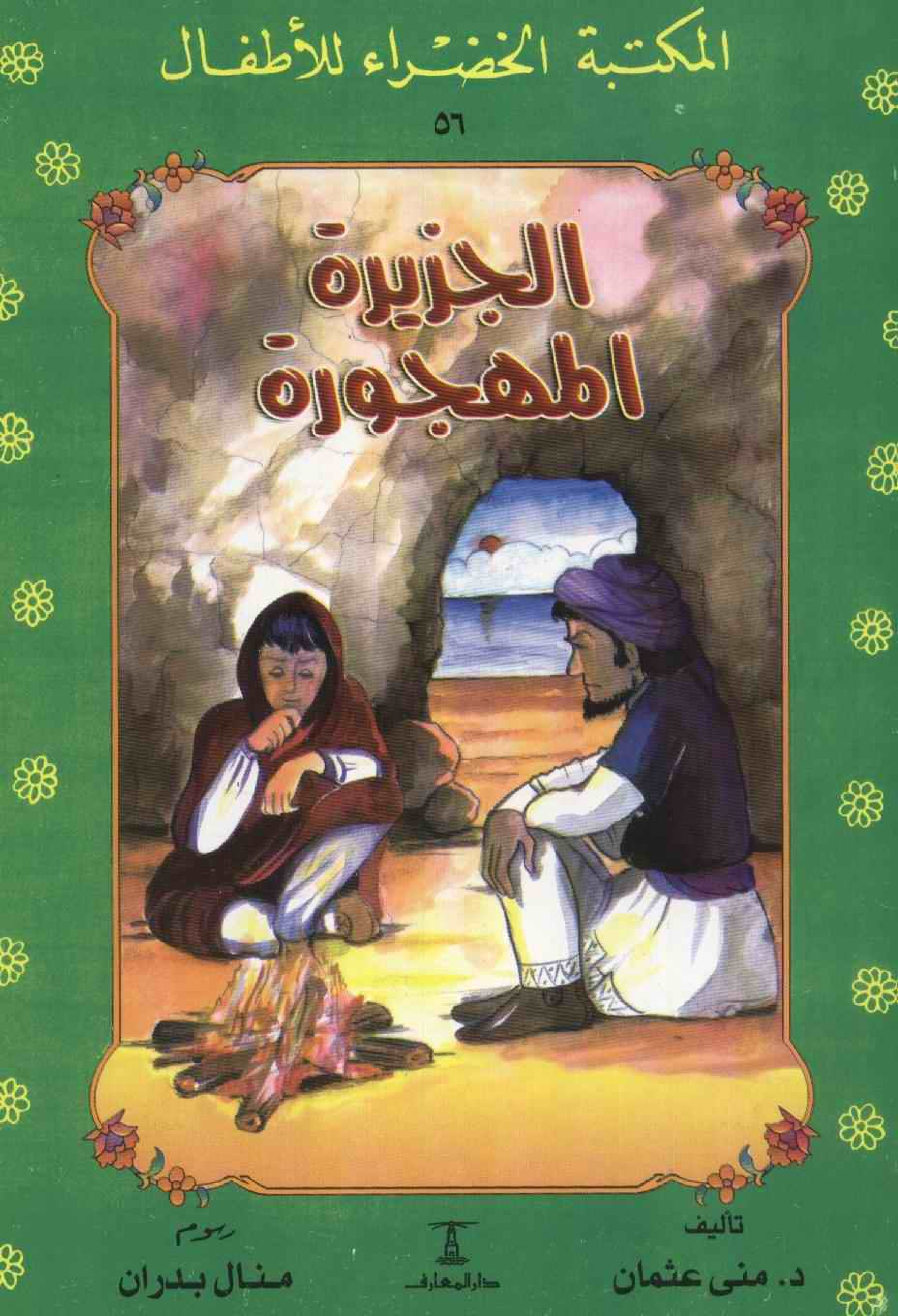

المكتبة الخضراء للأطفال
٥٦
الجزيرة المهجورة
تأليف
د. منى عثمان
رسوم
منال بدران
دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال



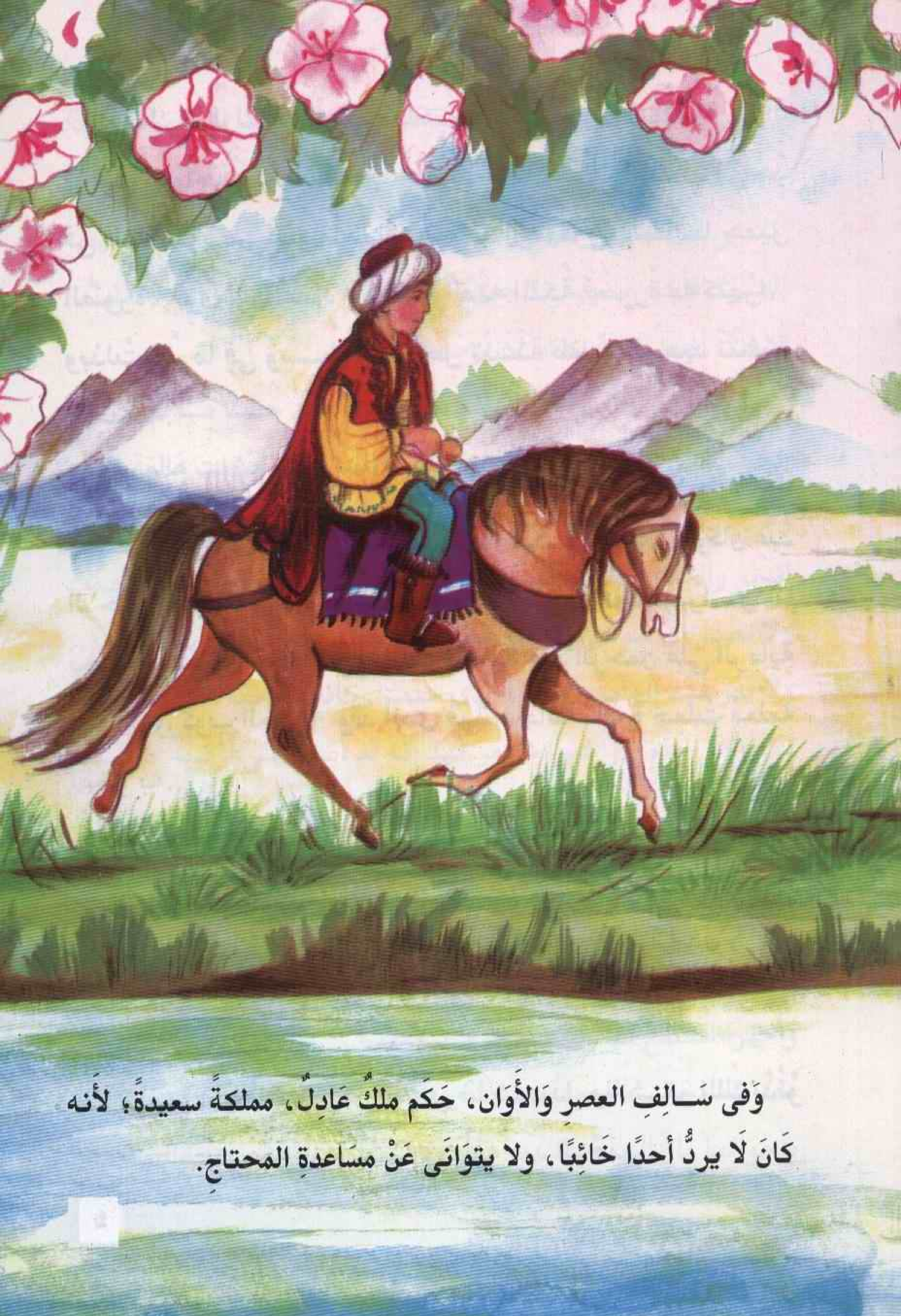
الجزيرة المهجورة



تأليف
دكتورة منى عثمان

رسوم
منال بدران





وَفى سَـــالِفِ العصرِ وَالأَوَان، حَكَم ملكٌ عَادِلٌ، مملكةً سعيدةً؛ لأَنه كَانَ لَا يردُّ أحدًا خَائِبًا، ولا يتوَانَى عَنْ مسَاعدةِ المحتاجِ.

لذلـكَ بـارِكَ الله لَهُ فِى مَمْلكتِـهِ وَاتَّسـعَتْ أطرافُهَا.. وزَادَ ثراؤُهَا.. وَأَحبَّهُ شـعبُهُ حبًّا جمًّـا.. وكانَ لذلكَ المَلكِ ابنٌ وَاحِدٌ فِى العاشِـرَةِ مِنْ عُمْره أسماهُ فهدًا. كانَ فهْد ولدًا مُطيعًا جميلَ الصُّورَةِ، قَوِىَّ الجسْـمِ، وَكَانت والدتُه الملكةُ فَخُورةً بِهِ كثيرًا.. وبذلتْ كلَّ مَا فِى وُسـعهَا مِنْ أجلِ تنشئَةِ طفلهَا الوحيدِ تَنْشِئةً صَحِيحَةً.

أرادَ أَبوهُ الملكُ أنْ يكونَ عندَ حسـنِ ظنِّ شَـعْبه بِهِ.. فعهدَ بِهِ إلى مُعَلِّـم اسْمه عبدُ الرحمـنِ ليعلِّمَه وَيعدَّه ليكـونَ عَظِيمًا.. وكَانَ عبدُ الرحمنِ طيِّبَ القلبِ، وذُو خِصَالٍ حَمِيدةٍ، فأحبَّهُ فهدُ كَثِيرًا.. وَكَانَا يخرجَانِ معًا إِلى الحقولِ والغَابَاتِ فيدرِّبَهُ عبدُ الرحمنِ عَلى الرمَايةِ والصيدِ ورُكوبِ الخيلِ.. وقَدْ أَبدَى فَهْد شجاعةً نَادِرةً جَعلتْ مُعَلِّمه يفخرُ به..

وكانَ أَبـوه دَائِمًـا يردِّدُ بثقةٍ وفخْرٍ: هذَا الولدُ سـيكونُ خيرَ ملكٍ لهـذهِ المَمْلَكَة. كَانَ مُعلمُـهُ يلازِمُهُ ويخَافُ عَليه.. حتّـى إنَّ غُرْفَتَهُ الخاصّةَ كانـتْ مُجَـاورةً لغرفَةِ الأمـيرِ فَهْد ولا يفصـلُ بينهُمَا إلاّ بابٌ صغيرٌ.

وَفى يوم مِنَ الأيامِ، مَرِضَ الملكُ مرضًا شـديدًا. ولما شـعرَ الملكُ بِدُنُوِّ أَجَله.. طلبَ زوجَتَه الملكَةَ وَابنَهُ ومعلِّمَه عبدَ الرحْمَن..

فتـحَ الملك عينيْـهِ للمرَّةِ الأخِيرَة.. وكانَ يُحملـقُ فِى الهواءِ ويردِّدُ بضعْفٍ شَـديدٍ: أُشفقُ عليكَ يَا بُنىّ مِمَّا ستُكَابدُه بعدَ وَفَاتى.. وَعزائِى أنكَ فِى النهايَةِ سَـتَعْتلى العرشَ أَيهَا الملكُ العظِيم.. ثُم أغمضَ عينيْهِ للمـرّةِ الأَخيرةِ، وبكَى الجميعُ بُكاءًا حارًّا لِفـراقِ هذَا الملكِ العَادِل.. فالعدلُ أجملُ صفةٍ يمكنُ أَنْ يُوصفَ بهَا مَلِك.

ولمْ تُمهِـل الأيامُ أحَدًا.. فبعـدَ يوميْنِ اثنيْنِ حدثَ مَـا لمْ يكُنْ فِى الحُسْـبانِ.. اسـتيقظَ فهد فِى منتصَفِ الليلِ علَىٰ أَصْواتٍ عَاليةٍ وهَرْجٍ وَمَرْجٍ.. وَسُـرْعَانَ مَا انفتحَ البابُ الذِى يفصل بينَهُ وبينَ مُعلمه، الذِى اندفعَ وَالخوفُ بادِيًا عَلى وَجْهه، وَهُوَ يتكلمُ بهمْسٍ وَعَصَبيَّةٍ: أَصمَتَّ وَلا تُصْدر أَىَّ صوْتٍ.وَلَفّه فِى غِطَائه.. وحَمَله عَلى كَتِفه وانطلقَ يَعْدُو.. وَلاَ يدرِ فَهْد إلى أينَ.. وَلاَ مَا الذِى حدثَ.. كَانت الأحداثُ كلُّهَا سَرِيعَةً وَكَأنه فِى حُلْمٍ.. وَأخيرًا شـعرَ فَهد أنه قد أصبح عَلى أَرْضيةٍ خَشَـبيّةٍ تتحرّكُ..

كشفَ مُعَلمه عَنْ وَجْهه ليتنفّسَ بحُرِّيّةٍ.. وَأمره أَنْ يظلَّ هَادِئًا.. كانَ الجميعُ فِى قَـاربٍ صَغيرٍ يحرك بمجْدَافيْنِ.. كانَ عبدُ الرحمنِ يجدفُ بأحدِ المجَاديفِ.. وَمَراكبى طاعِنٌ فِى السِّن يُجدف بالمجْدافِ الآخرِ.. وَأخيرًا استطاعَ فَهد أَنْ يستردّ جَأْشَه ويسْأَل: مَا هَذَا الذى يَحْدثُ؟

- الله نجاكَ بأُعْجُوبةٍ.. أعداءٌ مجْهولُونَ هَجَمُوا بغتَةً علَى المَمْلَكةِ، وأحوالِهَا مَا زَالت مُضْطرِبةً بعدَ وفاةِ الملِكِ.. ثُمَّ اقتحمُوا القصرَ يُرِيدُونَ





قتلكَ، ليستعْمِرُوا المملكةَ وَيَحْكموهَا.. صَاحَ فهد بصوتٍ تكادُ تخنقُه العبراتُ: وَوالدتى؟ أشاحَ عبدُ الرحمنِ:

- لاَ أَعرفُ شيئًا عنْهَا.. كنتَ أنتَ الهدَفَ.. وَلمْ يتّسِع الوقتُ إلاَّ لإنقاذِكَ أنت.

شعر فهد بالخوفِ عَلى وَالدتِهِ، وأخذَ يدعُو الله أَنْ يحفظهَا وينجيهَا. انتبه فهدَ عَلى صوْتِ مُعلمه: وَصَلنا إلى الجزيرةِ المهْجُورةِ.. هيّا اسْتعدَّ للنُّزُولِ. صَاح فهد بخوفٍ: الجزيرةُ المهجُورَةُ؟ أَلاَ تخشَى الجنَّ وَالأشباحَ التِى تَسْكنهَا.

أَجَابه مُعَلمه بنفادِ صَبْرٍ: هذَا هوَ المكانُ الوحيدُ الذِى لَنْ يتعقبنَا فِيهِ أَحَدٌ. لاَذَ فهْد بالصمْتِ، والخوفُ يسْرِى فِى أَوْصَاله، وهو يتذكّرُ الحِكَاياتِ المروّعةِ التِى سمعهَا مِنَ الكثيرينَ عَنِ الجَان الذِى يَسْكُنُ هذِه الجزيرةَ التِى هجرهَا الجميعُ ولَم يَجْرؤْ أَحدٌ عَلى الذهَاب إليهَا منذُ زمنٍ طَويلٍ. وَلَمْ ينسَ عَم سَعِيد المراكبى أَنْ يُعْطيهمَا كيسًا به بَعْض الأشياءِ الهامّةِ التِى قَدْ تُعِينُهما، ثُم مسحَ عَلى رأسِ فَهْد وَقبَّلَ جبينَه وقالَ: أبوكَ الملك كانَ له فضْلُ كبيرٌ علىّ.. وَأَنا لنْ أَتخَلّى عنكَ أبدًا. وسوفَ أزوركَ كلّمَا سَنَحت الفرصَةُ..

كَانت الجزيرَةُ مَهْجورةً ومُوحِشَةً.. وكانَ فهد يَمْشى خَائفًا مُتشبثًا بيدِ مُعَلمه.. كانَ الموقفُ عَصِيبًا، وعبد الرحمن يدورُ فى الجزيرةِ بفَهْد. ليبحثَ عَنْ مكانٍ مُلائمٍ للمَبِيتِ.. وَأَخيرًا وجدَ

فجوةً فِى أحدِ الجبالِ المنتشرَةِ عَلى الجزيرةِ تُؤدى إلى كهفٍ.. أشعلَ عبدُ الرحمنِ شعلةً مِنَ النارِ، ودخلَ بحذرٍ يتبعُهُ فَهْد.. فوجدَا المكانَ جَافًا.. آمنًا وبعيدًا عَنِ اتجَاهِ الريحِ.. فجلسَ جانبًا معَ فهد حتّى تهدأَ أنفاسُهُمَا، ولكنّ التعبَ الشّديدَ سُرعَانَ مَا أخذَ فهدًا إلى سُبَاتٍ عَمِيقٍ.. وبقَى مُعَلمه وَحيدًا يفكّرَ فِيمَا آلَ إليهِ أمرُهُمَا حتَّى غَلَبه النومُ هُوَ الآخَرُ..

أخِيرًا فتحَ فهد عينيْه وَبَقى ساكنًا، وَكأنه مَا زالَ فِى حُلْم عَجيبٍ.. فبدَلاً مِنْ رُؤيةِ غُرفتهِ الفخمَةِ وفراشهِ الدّافِىء، وجدَ نفسَه نائمًا فِى كَهْفٍ بالجبَلِ، فوقَ الأرضِ الجَافّةِ!! جلسَ فَهْد مَكَانه، ليرتِّبَ أفكَارَه، ويتأكّدَ مِمَّا حدثَ اللَّيْلة السَّابقةَ. إذَنْ مَا حدثَ لم يكنْ حُلْمًا. يَا إلهى!!

وَأسندَ جَبينهُ عَلى ذراعيْهِ المعْقُودتين فوقَ رُكْبتيْه المُنْثنيتيْنِ لأَعْلى.. وَلَمْ يدرِ كَمْ منَ الوقتِ مَرَّ وَهُو جَالِسٌ هَكَذا.. حَتّى انتبهَ عَلى حَركةٍ بجَانِبهِ، فرفعَ وجهَهُ، ونظرَ فإذَا بِمُعَلمه قَدِ استيقظَ مِنْ نومِهِ، وهَالهُ مَا وجدَ عليْهِ فهدًا مِنْ حُزْنٍ وَأسَى.. فأخذَ يمسحُ رأسَه بحنَانٍ ثُم قَالَ: يَا بُنى هَذِه مِحْنةٌ كبيرَةٌ لنْ يستطيعَ إنقاذكَ مِنْهَا إلاَّ الله، وعلينَا بالصَّلاةِ والدعَاءِ والصّبرِ حتّى يجعلَ الله لنَا مخرجًا.. ثُم ضمّه إلى صدْرِه وأردفَ وصَوْته يختلجُ: لقَدْ عوّضَنِى الله بك عَن ابنِى الذِى فقدتُّهُ وهُوَ فِى مثلِ عُمْرك.. وَلَنْ أدّخرَ وسْعًا فِى مُساعدتكَ حتّى لَوْ ضحّيتُ برُوحِى مِنْ أجلكَ.



مرّ الوقتُ بطِيئًا وهمَا جَالِسَانِ يُفكرانِ فِى صمْتٍ، حتَّى سَكنتِ الرِّيحُ تمامًا، فخرجَا يستكْشِفَان المكانَ معًا.. سُرّ فهد ومعلِّمُهُ برؤْيةِ أشجَارِ الموزِ والبرتقَالِ علَى البعْدِ.. فأسرعَا إليها وأخَذَا يلتهمَانِ الفاكهةَ التِى كانتْ لذيذةً جدًّا حَتّى شَعَرَا بِالشَّبعِ.. ثُمّ حملاَ بعضًا منهَا إلى الكَهْفِ الذِى يختبئَانِ فِيه، وتعجّبَا أنهمَا لمْ يقابلاَ جِنّيًا وَلاَ شبَحًا وَاحِدًا على الجزِيرَة.. وَمَعَ مرورِ الأيّام استطَاعَا أنْ يتأقْلمَا مع هَذِه الحياةِ الخشِنَة.. وكانَا كلُّ يوم يضِيفانِ شيئًا جَديدًا للكهْفِ؛ حَتَّى يَعيشَا فِى أَمَانٍ وَسَلام. فقد علّمه عبدُ الرحمنِ كيفَ يَجْدلُ الحبالَ ويصنعُ السلال.. وَيصيد الأسمَاكَ التِى كَانت المَصْدرَ الرئيسىّ لغذَائِهمَا مَعَ الفَاكهَةِ.. وتعجّبَ الإثنَانِ كيفَ يهجرُ النَاسُ جَزِيرةً مُمْتَلِئَةً بكل هَـذِه الخيرَاتِ.. كَمَا اسْتعانا بِالأشيَاءِ الَّتِى أَعْطَاهَا لَهُما عَمُّ سَعِيدٍ المَرَاكبى، فَقَدْ وَجدا بينهَا فأسًا وَسِكينًا، وَأَوَانى وَغيرهَا مِنَ الأشيَاءِ الضَّروريَّة.. ولكنْ مَا كَانَ يُؤرِّقُهما تأخُّرِ عَمِّ سَعيدٍ عَلَيْهما، فَقَدْ مرَّ شهرٌ وَهُمَا ينتظرَانِ.. وأخيرًا نفذَ صبرُ عبدُ الرحمنِ فقالَ لفهْدٍ وَقَدْ أَخذَ قرَارَه:

- لنْ نستطيعَ الجُلُوس هكَذَا مَكْتُوفى الأَيْدِى.. سنبدأُ فِى صُنْعِ قَاربٍ صَغيرٍ مِنْ خَشبِ هَذِه الأشجَارِ.

تحمَّسَ فهد وَقَدْ سَرَّه أَنْ يقومَ بهـذَا العملِ كثيرًا.. وَبالرغمِ مِنْ أَنَّ العمـلَ كانَ شَاقًّا إلاَّ أنهمَا بالعزيمَةِ والجهدِ المتواصِلِ استطاعَا عَمَل قاربٍ بِدائى صَغِيرٍ..





كانَ التعبُ قدْ حَلَّ بِهِمَا..

فانْصَرفَا إلى كهفهمَا.. ورَاحَا فِى نوم عَمِيق..

وَمَـا إنْ بزَغَتْ أولُ خُيـوطِ الفجرِ، حَتَّى انتبهَ عبـدُ الرحمنِ عَلى حركةٍ غيرِ عاديّةٍ بالخَارِج.. فتناولَ سـيفَهُ واندفعَ للخارج يَسْـتطْلعُ مَاذَا يحدثُ، فوجدَ عَم سـعيدٍ يرسى قَارِبَه ويهبطُ مِنْهُ فصَاحَ: أَخِيرًا أتيـتَ أَيهَا الرجلُ العجوزُ. تأخّرْتَ كَثيرًا. تقدمَ عمُّ سـعيدٍ وهُوَ يُلوحُ بِيـده، ويحملُ عَلى كَتِفه جوَالاً كبيرًا ويقولُ: لَمْ أجدْ فرصَةً مُواتيةً، وَخشِيتُ أَنْ ينكشِفَ أمرنَا ففضّلتُ التريُّث.

كانَ فهد قَدْ استيقظَ عَلى الأَصْوَاتِ العَالِيةِ التِى لَم يتعوّدْ عليْهَا فِى هَذِه الجزيرَةِ، فهرْوَلَ إِلى مدخَلِ الكهفِ، وطارَ فرحًا عندمَا رَأَى عَم سعيدٍ المَرَاكبى، واسْتقبلهُ مُهَلِّلاً: مرحبًا بِكَ.. أَرَاكَ أَحضرْتَ لَنَا شيئًا.

ضحِكَ المَرَاكبى وأخذَ يخـرجُ لهمَا مَا بدَاخِلِ الجوَال.. أخرجَ خُبزًا ولحمًا، وأرزًا وَزبدةً، وسـكرًا وَمصْباحًا وأشياءَ أُخْرَى كَثِيرَة تَنْفعُهُم فِـى هذَا الكهفِ البِدَائى. وَلكن ظلّ فهد مُطْرقَا فِى جِلْسـتِهِ وهو يلُفُّ ذِرَاعيْه حول سَـاقيْهِ إِلى أَعْلى وقال فى حزن: معْنَى كلُّ هَذِهِ الأَشـياء التِى أُحْضرتْ أننا سنمكُثُ طَوِيلاً هُنَا. لكنْ ماذَا عَنْ وَالدتِى؟.

فقالَ عَم سعيدٍ مُخففًا عَنْه: لاَ عليكَ يَا بُنَىَّ.. فوالدتُكَ بخيْر.

صَاحَ فهد بغضبٍ شَابَهُ الحزنُ: فقدتُّ أَبِى الحَبيب، ثُمَّ أُمى وَعَرْشِى، وَأَعيشُ كالحيوانَاتِ الضَّالةِ فِى هذَا الكهْفِ الكَئِيب. صَاحَ عَم سـعيدٍ:

لاَ يا بُنَىّ.. احْذرْ أنْ تفقدَ شَـجَاعتكَ وثقتكَ بالله وبِنَفْسِـكَ، فَكِّرْ دَائمًا أَنَّ أُمكَ فِى حاجَةٍ إليكَ، والشـعبُ كلُّه ينتظِرُ اليومَ الَّذِى سـتعودُ فِيه لِتُخَلِّصَهم مِنَ المسْتَعْمِر..

جلَسَ الرجلاَنِ يلفُّهُمَا صمتٌ حَزِينٌ.. وَلَمْ يُبدد الصمتَ إلاَّ صوتُ فهدٍ وهُوَ يُصَلِّى ويبتهلُ إلى الله. وَدّعهمَا عَم سـعيدٍ وهُوَ يعِدُ فهدًا بمحَاولةِ الوصُـول لِوَالدته؛ ليطمئنهَا عَليه وَيطمئِنَــهُ عَليْهَا. مَرَّت الأيامُ وفَهْد ينتظرُ عم سعيد بفارغِ الصّبرِ، وأفكَارُه القلقَةُ تقضُّ مَضْجَعَه.. تُرى ماذَا حدثَ لأُمى؟.. هلْ تعلَمُ أَننى ما زلتُ عَلى قيدِ الحَيَاةِ؟.. وَهَلْ.. وَهَلْ.. وَأسئلَةٌ كثيرَةٌ تدورُ بِعقْله وهُوَ يقومُ بأعمَالِهِ المعْتَادةِ فِى صَمْتٍ.

فِى صباحِ أحدِ الأيامِ اسـتيقظَ عبدُ الرحمنِ مِنْ نَوْمه، فَهَالَهُ أَنَّ فهدًا لَمْ يكنْ بِجِواره.. قفزَ مسرعًا وانطلقَ للخَارِجِ يبحَثُ عَنْه فِى كلِّ مكَانٍ.. وأخِيرًا وَجَدَه بينَ الأشجَارِ مُنهمِكًا فِى قَطْعِ جذْعِ شجرةٍ ليصْنَعَ منهَا مجْدافَـين للقَارِبِ.. ابتـدرَهُ قَائِلاً: مَاذا تفعلُ فِى هَذِه السَّـاعةِ؟ نظرَ فهد إليْهِ بإصْرَارٍ وَقَال: لا أسـتطيعُ الانتظَار أكثرَ مِنْ ذلكَ.. سـأذهبُ بالقَاربِ الذِى صَنعنَاهُ لأبحَثَ عَنْ وَالِدتِى..

سَأتخفَّى فِى مَلاَبسى القذرَةِ الممزّقَةِ هَذِه، ولنْ يَخطرَ ببالِ أحدٍ أننِى الأَمِير. أطرقَ عبدُ الرحمنِ مُفكرًا بُرهةً.. ثُمَّ رفعَ رأسَه وَقالَ لفهدٍ:

– بلْ سـأذهبُ أَنَـا مُتخفيًا وعليكَ أنتَ البقَاء هُنَـا، ولتحافظْ عَلى نفسِكَ.





انطلقَ عبدُ الرحمنِ بالقاربِ، وفهد لاَ يكفُّ عَنِ التلويحِ له حَتَّى غابَ عَنْ عَينيْهِ.

مَرَّ الوقتُ ثقِيلاً عَلى فهد الذِى آثَرَ التجوُّلَ بالجزيرةِ، وتسلُّقَ الجبَالِ.. وبينمَا كانَ يتسلقُ أحدَ الصُّخورِ، هَوَتْ بهِ، وسقطَ سَقْطةً آلَمَتْه، وعندمَا نهضَ تعجّبَ مِنْ وجودِ فتحَةٍ بالجبلِ كَانتْ تُخفيهَا تِلكَ الصَّخْرةُ..

كانتْ الفتحة مَدْخلاً لكهْفٍ كبيرٍ. تردّدَ فهد قَلِيلاً ثُمَّ استجمعَ شَجَاعَته، ودخلَ يَدْفعُه الفضُولُ.. وجدَ عددًا كبيرًا مِنَ الصناديقِ الخشبيّةِ فتحَ أحدَهَا بالاستِعَانةِ بسكّينَةٍ، فوجدَ الصندوقَ مَمْلوءًا بالحُليِّ واللآلىء والماسِ والعملاتِ الذهبيَّةِ.. تعجّبَ فهد ثُم فتحَ صُندوقًا ثانيًا وَثالثًا.. كانَ بالكهفِ ثروةٌ مِنَ الحُليِّ وَاللَّآلىء، أخذَ فهد يُحمْلقُ فيهَا غيرَ مُصدقٍ لعينيْهِ، وهو يتساءلُ لمَنْ هذَا الكنْزِ؟.. وَمنْ أَحْضره هُنَا؟ ظلَّ فهد يذهبُ كلَّ يومٍ إلى الكهْفِ، ويتسَّلى بفتحِ الصَّنَاديقِ الخشبيَّةِ ويعبثُ بمُحْتوياتهَا. وفِى اليومِ الخامسِ كانَ يتفرّجُ عَلى اللآلىء والحُلى، فسمعَ أصواتًا عاليةً تَأْتِى مِنْ بَعيدٍ.. فانطلقَ فرحًا مُحدثًا نفسَهُ، أخيرًا عادَ مُعلمى وَعم سعيد.. فَمَا كادَ يخرجُ مِنَ الكهفِ ويمعِنُ النظَرَ إلى صفحَةِ الماءِ بعيدًا، حَتَّى كادَ قلبُه ينخلعُ رعبًا. فقدْ كانَ هناكَ خمسَةٌ مِنَ القواربِ الصَّغيرةِ فوقهَا بعضُ الصَّنَاديقِ ورجالٌ كَثِيرُونَ.. انطلقَ فهد كالسَّهمِ إلى الكهفِ الذِى ينامُ

فِيهِ، وجمعَ بعضَ الحَاجَاتِ الهامَّةِ بِسُرعةٍ، وعادَ متخفيًا ليلْقِى نظرةً إلى القوارِبِ الخمْسَة.. فرأى رجالاً، عَلى الشَّاطىء، تبدُو على مَلَامحِهِم القسْوةُ والإجرامُ.. وَمِنَ الوَاضِحِ أنهم عِصَابَة مِنَ اللُّصوصِ، يَحْتفظونَ بالمسْروقاتِ فِى هذَا المكَانِ الذِى لاَ يخطرُ عَلى بَالِ أَحَد..

أعملَ فهد عقْلَه بُسرْعةٍ.. فلابدَّ له مِنَ الاختبَاءِ؛ لأَنهُم سَيُدركونَ أنه دخلَ مَخْبأَهُمْ وَرَأى كنزَهُم وسيُلْحِقُونَ بِه الأَذَى. تسلّلَ فهد مُبتعِدًا دونَ أَنْ يلحظَهُ أحدٌ، إلى الجانبِ الخَلْفى مِنَ الجزيرةِ، وأخرجَ عودًا منَ البوصِ المجوَّفِ، وأطبقَ عَليْه شَفتيهِ، وربطَ كيسَ حَاجَاتِهِ عَلى وَسَطه، ثمَّ غاصَ سريعًا فِى المَاءِ مُخفيًا عودَ البوصِ بينَ الأعشابِ المُنْتشرةِ عَلى طولِ الشَّاطىء، وظلَّ سَاكنًا فِى مَكَانه، يتنفَّسُ بانتظامٍ مِنْ فمِهِ بمسَاعدةِ عُودِ البوصِ..

ولمْ يكذبْ حَدْسَه.. فَبِمجرَّدِ أَنْ دخلَ اللصوصُ الكهفَ ووجدُوا الصناديقَ مفتوحَةً والحُلىَّ مُتناثِرةً هنَا وهنَاكَ حتَّىٰ جُنَّ جُنُونهم، وانطلقُوا يبحثُونَ فِى أنحَاءِ الجزيرَةِ عَنْ أَىِّ إنسَانٍ، فوجدُوا الكهفَ الذِى ينامُ فِيهِ فهد وَمُعَلمه، ووجدُوا أَغْطِيتَهُم وأدواتَهُم، وتأَكّدُوا أَنَّ هناكَ مَنْ تجرّأَ وجاءَ إلى الجزيرَةِ بِالرغْمِ مِنْ قصصِ الجانِ والأشبَاحِ التِى أَلَّفوهَا ونشروُهَا بينَ النَاسِ؛ ليمنعُوهُم مِنَ المَجِىء إلى تلكَ الجزيرة.

صرَخَ أَحدُ اللُّصوصِ فَقَالَ: لننْطلِقْ جميعًا وَنقبضْ علَى مَنْ فَعلَ ذَلكَ بمسْروقاتِنَا وَنقطعْه إرْبًا إرْبًا حَتَّى لا يُفشِى سِرَّنَا. اتَّجه أفرادُ





العصَابةِ إلى منطقةِ الأشَجارِ يبحثُونَ فيهَا.. وَهنَا انتهزَ فهد الفرصةَ الذهبيـةَ، ووضعَ عودَ البُوصِ فِى حِزامِه حول وَسَطه، وأخذَ يسبحُ بمهـارَةٍ تحتَ سَطْحِ المـاءِ متجهًا إلى الجَانبِ الأمَامـى مِنَ الجزيرَة، حيثُ تُوجدُ قواربُ العِصَابة.. أخرجَ رأسَه بحذَرٍ، ونظرَ يُمنةً وَيُسْرةً ثمَّ قفزَ إلى أَحَدِ القواربِ، وأَخذَ يجدِّفُ بكلِّ قُوَّتِه مبتعدًا..

وعَلى البعدِ شـاهدَ أفرادَ العصَابةِ يُشـيرونَ ويَصِيحونَ بغضبٍ، وقدْ قَفزَ رجُلانِ إلى أحدِ القـوارِبِ، وأخذَا يجدِّفَانِ بكلِّ قوْةٍ ليلحَقَا بفهد.. وهنـا دبَّ الخوفُ فِى نفسِـه، فقدْ كانَ الرجلان أَشَـدَّ مِنْهُ قوةً وحتمًا سيستطيعَانِ اللِّحَاقَ به.. أَخذَ فهد يجدفُ بكلِّ قُوّته، وَقلْبه يبتهلُ إلى اللهِ أَنْ ينقذَهُ مِنْ براثِنِ هَذيْنِ اللِّصَّيْن اللذيْنِ أخذَا يقتربَانِ مِنْهُ. وهو يدعُو ويتضـرعُ إلى اللهِ أَنْ ينقذَهُ، وبينمَا مدَّ أحدهمَا ذراعيْه ليتشـبَّثَ بحافَةِ قاربِ فَهْد.. إذَا بحوتٍ ضخْمٍ يأتِى مِنْ أسـفَلِ قَاربِ الأشـرَارِ، وَيقلبُه رأسًـا عَلى عَقِبٍ، وتتعَالَى صيحاتُ الرجليْنِ، وفهد يتشبثُ بمجْدافيْه وَقَـدْ اضطرَبَ الماءُ بشـدةٍ حَتَّى كادَ أَنْ ينقلبَ قَارِبُـه هُوَ الآخرُ.. ولكنَّ حركةَ الماءِ دَفَعته بَعِيدًا.. وأخذَ يبتعدُ أكثرَ وأكثرَ وهو يسـمعُ صيحَات اللصيْنِ اللَّذيْنِ أَنْزَلَ اللهُ سُبحَانه وتعَالَى عِقَابَه عليهِمَا.. أخذَ فهد يشكرُ اللهَ ويحمدُه عَلى نَجَاته.. وأخيرًا ظَهرَتِ اليابسَـةُ عنْ بعدٍ، فتشَّـجعَ وأخذَ يزيدُ مِنْ سـرعةِ تَجْديفه حتّى وصَلَ إِلى الأرضِ، وأرْسَى القاربَ وربطَهُ فِى جذعِ شَجرَةٍ، ثُمَّ ارتمَى فِى ظِلِّ الشجرةِ وقدْ خَارتْ قُوَاهُ لفرطِ



التعبِ والانفعَالِ.. غابَ عَنْ وَعْيه ولمْ يشعرْ بنفسِهِ إلاَّ وقدْ اشتدّتْ حرارةُ الشمسِ وقتَ الظَّهيرةِ.. فتحَ فهد عينيْهِ وقدْ نالَ منه الإعياءُ والجوعُ والعطشُ الشَّديد.. وفجأةً تذكَّرَ أنَّ بالقاربِ صُندوقًا صَغيرًا لمْ يتّسع الوقتُ للعِصَابةِ لتنقلَهُ إلى الجَزيرَةِ.. فأخرجَ سكِّينًا مِنْ حِزامِهِ المربُوطِ حول وَسَطه، وَمَا إنْ فَتَح الصندوق حتّى تسمَّرَ مِنَ المفاجَأة.. فقدْ وجدَ حُليَّ أُمه الذهبيّةَ التِى يعرفهَا جيدًا.. تسارعَت دقاتُ قلبهِ، وتحسّسَ الحليَّ وهو يتساءلُ بذُهولٍ، كيفَ حصَلَ عليهَا أُولئكَ اللُّصوص؟! ! وَمَاذَا فعلُوا بِأُمى؟ وتساقطتْ دموعُه وهو يفكِّرُ أنَّ الأشرَارَ لابدَّ أنَّهم أَصَابوهَا بِسُوءٍ.. ثُمَّ تناولَ خاتمًا صَغِيرًا وَوَضَعَهُ بكيسِه، ثمَّ حملَ الصندوقَ وتسلّقَ الشجرةَ وربطَه جيدًا بفروعهَا العَاليةِ وأخفَاهُ بينَ الأَوْرَاق.. ثُمَّ هبطَ وتلفتَ حَوْله ليتأكَّدَ أَنَّ أحَدًا لمْ يرَه.

اتجَه فهد إلى السوقِ وهو مُتأكدٌ أَنَّ أحدًا لنْ يَعْرفَه.. فَمَلابسُه بَاليَةٌ ومظهَرُه بَائِسًا.. وبينمَا هو يمْشِى وجدَ نفسَه أَمامَ مَطْعم تنبعثُ منهُ رائحةٌ شهيّةٌ فاتجَه إليْهِ مُسرعًا.. كانَ صاحبُ المطعم نَحِيلاً يشعُّ المكرُ والدهاءُ منْ عَيْنيْه. أَمَّا امرأتُه فكانتْ بدينةً لهَا وجهٌ فِيهِ نَمَشٌ وعينانِ ضَيِّقتَانِ لا تقلُّ مكْرًا ودهَاءً عَنْ زَوْجهَا.. وقفَ فهد عند البابِ باستحيَاءٍ عندمَا وجدهمَا ينظرَانِ إليْهِ باحتقارٍ وَضِيقٍ ثُمَّ دخلَ بِخُطىً مُتردِّدَة.. وقبلَ أنْ يصِلَ إلى المائدةِ الصَّغيرَةِ، صَاحَت المرأةُ بصوْتٍ كَرِيهٍ: أنتَ أيهَا المتسولُ.. انصَرِفْ سَرِيعًا. غضبَ فهد وصَاحَ فيهَا

بكرامةٍ جَرِيحَةٍ: لستُ متسوِّلاً أيتهَا المرأةُ.. فقالَ زوجهَا بصوتٍ رفيع كالفأرِ: ومنْ أينَ لكَ ثمنُ مَا ستأكُلُه؟

مَدَّ فهد يَدَه فِى كيسِهِ وأعطاه الخاتمَ المَاسِى، وقال: سَأَبِيعُ هذا وأدفعُ لكمَا مَا تُريدَان ثمنًا للطَّعَام. تبادلَ الرجلُ والمرأةُ نظرةً لئيمَةً ثُمَّ انحَنَى له الرجُلُ وقالَ: تفضَّلْ يَا سَيدى.. وَأشارَ بيَدِه لإحْدَى المَوائِدِ وأسرعَ بإحضَارِ أَصْنافٍ شَتَّى مِنَ الطعامِ اللَّذِيذ.. انقضَّ فهد عَلى الطعام وَأكلَ مَا اشتهتْ نفسُه، وتجرَّعَ الماءَ، ثم جلسَ ساكنًا وَقَدْ هدأَ بعد إحْسَاسِه بالشَّبَع.. نَادَى عَلى الرجُلِ الَّذِى كانَ يُراقبُه وَقَالَ: أُرِيدُ بَاقِى المَالِ لأَنصرفَ الحِينَ، كشَّر الرجلُ عنْ أنيابِهِ قائلا: أى مَالٍ؟ أنتَ لمْ تعطِنِى مَالاً، استدركَ فهد بسرْعةٍ: أقصدُ المالَ المتبقِّى منْ ثمنِ الخَاتمِ المَاسِىِّ، جَاءت المرأةُ ووقفَتْ بجوَارِ زوجِهَا مُتَحفِّزَةً: أَى خَاتمٍ أيهَا المجنونُ؟ نحنُ لمْ نَرَ خَوَاتم، انقضّتِ المرأةُ البدينَةُ عَلى فهد وَدَفعتْهُ للخلْفِ فَوَقع عَلى الأَرْضِ ثُمَّ سحبتْهُ معَ زوجِهَا إِلى خارِجِ المطعَم وهمَا يَصِيحَانِ عاليًا ليسمعَهُمَا الناسُ جميعًا فِى السُّوقِ: اخرُجْ أيهَا المتسوِّلُ مِنْ هنَا.. لقدْ أطعمنَاكَ إشفَاقًا عليْكَ.. والحِينُ تريدُ سَرِقتنَا.. الشُّرْطَةَ.. الشُّرْطَة. شعرَ فهد بيدِ الشُّرْطى تهوى عَلى ظَهْره. فأخذ فهد يصيحُ: أيهَا اللصوصُ الأشقياءُ.. أَنتُم الذينَ سَرقتم خَاتمَ وَالدتى المَاسِى..

وهُنَا دَفعَهُ الشُّرْطى بقَسوةٍ وهو يصيح: خَاتمُ والدتكَ المَاسِى أيهَا المُتشرِّدُ القَذِرُ.. هيّا إِلى المكَانِ الَّذِى يجِبُ أنْ يُودَعَ فِيه أَمْثالُكَ.

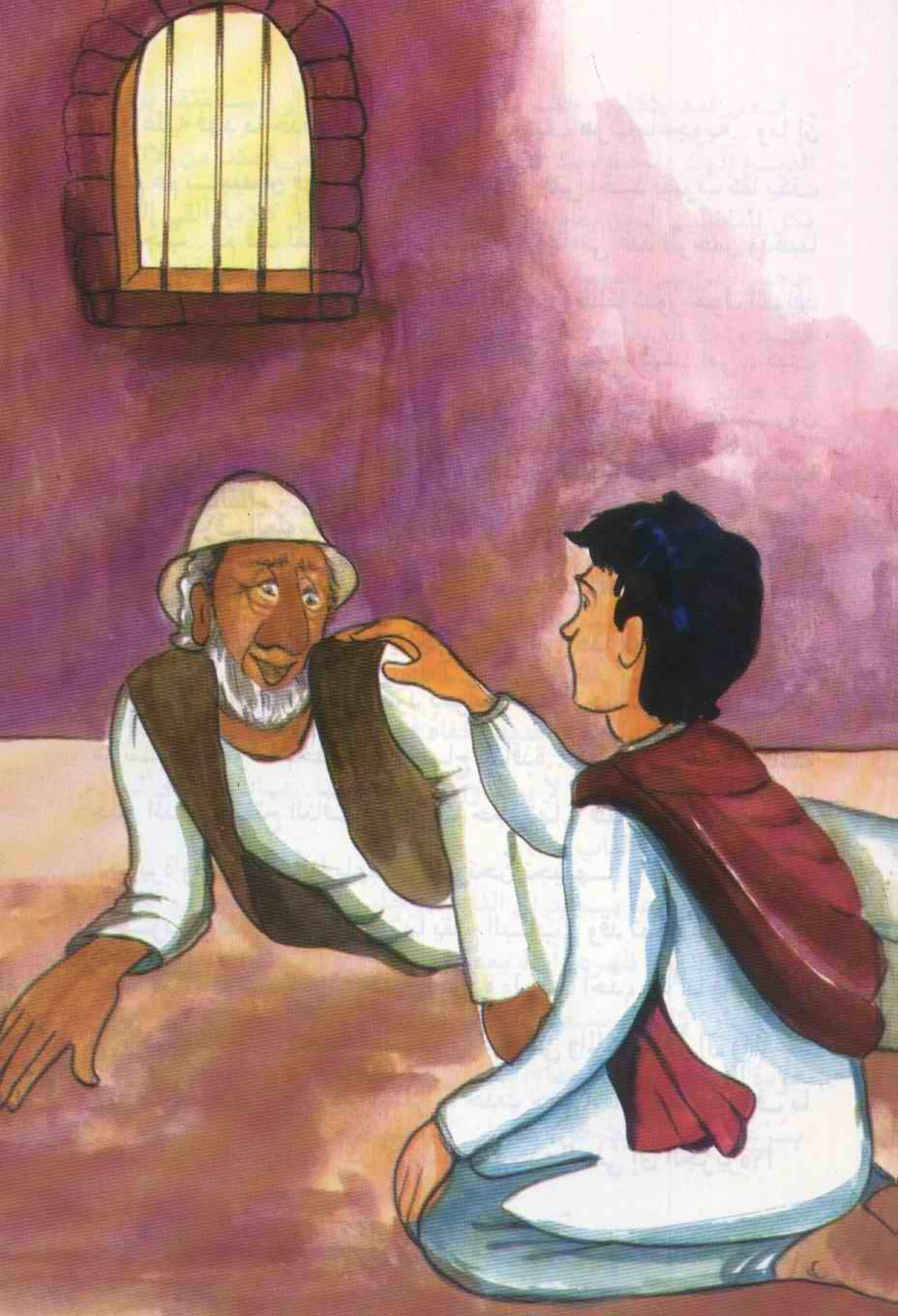




زُجَّ بفهد المسْكين فِى السجنِ فِى غرفةٍ مُظْلمَة.. ولمْ يكنْ يفكِّر فِى شىءٍ، ولكنْ كانتْ صورًا سَرِيعة مُتَلاحقةً تَتَوالى عَلى ذَاكرتِه.. أُمه.. أبوه.. عبدُ الرحمن.. القَصْر.. الجَزيرَة.. أصحابُ المطعم الأشْرار.. تملّكَهُ اليأسُ.. لكنّه تذكّرَ وصيَّةَ مُعلمهِ بالصَّبرِ والصَّلاةِ.. فتوجّه بقلبْهِ إلى اللهِ يدعُوه أنْ يفرِّجَ عَنْهُ كربَهُ ويزيلَ آلامَه..

فجأةً تعالتْ أصواتٌ وسمِعَ وقعَ أقدام غَليظَةٍ تقتربُ مِنْ باب الزِّنزَانةِ.. ومعَ صوتِ المفاتيح والمزَاليج كانَ قلبُه يدقُّ بعنفٍ وهو لا يدْرى مَاذَا سيفعلُونَ بِهِ.. وَمَا إنْ فُتِحَ البابُ حَتّى وجدَ اثنيْنِ من الجنود يمسكانَ بتَلابيب رجُلٍ كانَ يصرخُ بِهَلَع، أَنَا بَرِىءٌ.. أَنَا لمْ أَسرِقْ شيئًا، صَاحَ فيه أحدُ الجنودِ بصوتٍ أجَشّ: اخرسْ أيهَا اللصُّ.. والويلُ لكَ، ودفعَه دفعةً قويةً أطاحَتْ به أرْضًا.. وأغلقُوا البابَ بعنفٍ. أخذتِ الشفقةُ بقلبِ فهد.. فنهضَ واتجهَ للرجلِ وربتَ عَلى ظَهْره.. انتفضَ الرجلُ وارتدَّ للورَاء: مَنْ.. أيوجدُ أحدٌ هُنَا؟، كانتِ النافِذَةُ العلويَّةُ ذاتُ القضبَانِ الحديديةِ ترسلُ بعضًا مِنْ نورِ الفجرِ الباهِتِ.. أجابَ فهد بصوتٍ خَفِيضٍ: نعمْ.. إنه أنَا.. قبضَ الرجلُ عَلى ذراعيْهِ بقوةٍ وَسأله بانفعَالٍ: أنتَ مَنْ؟ ودقّقَ النظرَ جيدًا فِى الضوءِ الخافتِ ثُمَّ هتفَ بفرحَةٍ غَامِرَة فَهْد.. سَيِّدى الأَمير أكادُ لاَ أصدِّقُ نَفْسِى.. عَانقه وهو يصِيحُ بسعَادةٍ: عَمّ سَعِيد.. عَمِّ سَعِيد.

وَبعدَ أنْ هدأَ اللقاءُ سَأله عم سعيد بتعجُّبٍ: ولكنْ مَا الذِى أَتَى بك إِلى هُنَا؟ ألمْ ينصحْكَ عبدُ الرحمنِ بالمكُوثِ فِى الجزيرةِ حَتّى يعودَ إليكَ.



قَصَّ عَليه فهد مَا حدثَ له فِى الجزيرَةِ.. وكيفَ هربَ بأُعْجوبةٍ.. ومَا إنْ علِـمَ عمُّ سـعيد أَنَّ فهدًا وجدَ حُلِىَّ الملكةِ.. حَتّى أخـذَ يضربُ كفًّا بِكفٍّ ويتعجَّبُ.. ثُمّ قالَ لفهـدٍ بأنفاسٍ مُتقطعَةٍ: جَاءنى عبدُ الرحمنِ وذهبنَا سـويًّا للقصرِ نسـتطْلعُ أخبارَ وَالدتكَ الملكةَ.. وظَلَلْنَا ندورُ حولَ النوافِذِ وننظُـرُ خِلاَلَها حَتَّـى اهتديْنَا إلى مكَانِ الملكَةِ. صَاح فهد: أُمى.. كيفَ حالُهَا؟، همسَ عمُّ سـعيد: اخفضْ صوتكَ يَابُنَىّ.. الحراسُ مُنتشـرونَ بالخَارِجِ، ثُمَّ همسَ: الحاكمُ العدوُّ طاغٍ وَجبَّارٍ.. سلبهَا كلَّ حُليهَا وحبسَهَا بإحْدَى الغرفِ العلويّةِ بعدَ أنْ رفضَتْ الزواجَ منه.. وَهى مِسْكينةٌ تبكِى ليلَ نهَارٍ.. تريدُ أَنْ تعرفَ أخبارَكَ.. وقدْ شاهدناهَا وقدْ نحِلَت وعصَفَ بِهَا الألمُ. صَاح فهد والغضبُ يتأجّجُ فِى صَدْرِه: هذَا الوغْدُ يريدُ أنْ يحلَّ محَلَّ أَبِـى.. وَأَرْدفَ وَهُوَ يزدَردُ دموعَه: هَـل تحدثْتُمَا معها؟! أَجَابه عمُّ سـعيد: طرقْنَا بخفَّةٍ عَلى زُجَـاجِ النَّافذةِ.. ومَا إنْ شـاهدتْ مُعَلمكَ حتّى اندفعَتْ تفتحُ النافـذةَ وتُدْخلنَا حجرتَهَا.. قلنَا لَهَا إنكَ بخَيْرٍ فِى الجزيرةِ وظلّتْ تَسْـألنَا بلهفةٍ عنكَ ونحنُ نُجِيبُهَـا.. حتَّى سمعنَا أحدَ الجنـود الواقفينَ خارجَ حجرتهَا يفتحُ البـابَ.. وقدْ تمكَّنَ عبدُ الرحمنِ لقوَّتهِ منَ الوثُوبِ بسـرعةٍ خارجَ النافذةِ ولمْ يَرَهُ أحدٌ، أَمَّا أَنَا فأمسَـكُوا بِى واتَّهمُونِى بسـرِقةِ حُلى الملكةِ، وأخذُونِـى والمَلكةُ تنظرُ إلىّ وقدْ عقدَ الخوفُ لسـانهَا.. والحمدُ لله عَلى مَا حدثَ حتَّى أتقابلَ معكَ وأعرفَ مَا حدثَ لَكَ فِى الجزيرةِ.. لكنْ كيفَ وَصَلتْ هذه الحُلِىُّ إلَى الجَزيرةِ؟!

قَـصَّ فهد حِكَايته حتَّـى قالَ لهُ الرجلُ باصرارٍ: سَـننتقمُ مِنْ كلِّ الذيـنَ آذوكُ وألحقُوا بكَ الضَّررَ.. أَنَا وعبدُ الرحمنِ تمكنَّا منَ الاتصالِ بكلِّ المناضلينَ الذينَ يقاومونَ العدُو. وقبلَ أنْ يكملَ كلامهُ ألقى إليهمَا حجـرًا منْ بينِ قضبَـانِ النَّافِذةِ.. كانَ الحجرُ ملفوفًـا بورَقةٍ.. اندفعَ فهـد وَأخذَ الورقةَ وفتحهَا وقرأهَا بهمْسٍ: قبلَ أنْ تأكلَ الفطُورَ فَتِّشْ فِيه جَيدًا.

تبادَلاَ النظرَاتِ وقَدْ تجددَ الأملُ فِي نفسِ فهد الذِى ابتسمَ بسعَادةٍ.. وَمَـا هِى إلاَّ فـترةٌ قصيرةٌ حتّى سمعَا رفْعَ المزاليـجِ والمفاتيح تدورُ فِى الأقفَـالِ ثُمَّ دخلَ جندىٌّ ممسكًا بصفحَةِ طعَـام وضعهَا عَلى الأرضِ ثُمَّ انصـرفَ وأغلقَ البابَ دونَ أَنْ ينطقَ بكلمَةٍ.. انْتظرَا حتّى ابتعدَتْ وقعُ أقدامِ الجنـدى ثُمَّ بحثَا بَيْنَ ثنايَـا طَاولَةِ الطعام فوجَـدَا حبْلاً طوِيلاً ملفُوفًا وَمنشـارًا لقطْعِ الحديدِ أخفَاهُ فِى مَلاَبسِـه بحذَرٍ وَقَالَ بفرحَةٍ لفهْدٍ: كُلْ يَا بُنَىَّ حَتَّى لاَ يُسَـاوِرُهم شـكٌّ فِينَا. عَـاد الجندىُّ ليأخذَ الأطباقَ ثمَّ أغلقَ البابَ.

اتجه فهدٌ وعمُّ سـعيدٍ إلى النافذَةِ.. جلسَ عمُّ سعيدٍ مُنْحنى الظهْر، فوقفَ فهد فوقَ ظهرِه وأخذَ يعملُ بسرعةٍ وقوةٍ فِى قطعِ قضبَانِ النَّافذةِ بالمنشـار. كانَ عمُّ سـعيدٍ مِنْ حـينٍ إلى حينٍ يحثُّهُ عَلى الإسـرَاعِ قبلَ عَودةِ الحارسِ وقتَ الغداءِ، فتكُون الكارثَةُ الكبرَى.. فأَخَذَ فهد يعملُ بسُرْعَةٍ حتَّى أُزِيلتْ كلُّ القضْبَانِ الحَديديّةِ مِنَ النافذَةِ.

ربطَ عمُّ سعيدٍ الحبلَ حولَ وَسَطِ فهْد، وأنزَله مِنَ النافذةِ ببطءٍ حتّى وصـل إلى الأرض وتحت النافـذةِ كانتْ مُفَاجأةً مُذْهلـةٌ لعبدِ الرحمن الَّـذِى جاءَ خِصِّيصًا كَىْ ينقذَ عم سَـعيد، فإذَا بهِ أمامَ فهدٍ فَعَانقه وَهُوَ بـينَ الفرحةِ والذُّهُول. أنتَ أيهَا الفهدُ الصّغيرُ.. كيفَ جئتَ إلى هُنَا، همسَ إليهِ فهد وقلْبُه يتراقصُ فرحًا، سـأقصُّ عليكَ كلَّ شـيءٍ بعدَ أنْ ينزلَ عمُّ سعيد. كانَ عمُّ سعيدٍ ينزِلُ ببطْءٍ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلى الحبْلِ ذى العُقدِ، وهمَا يُرَاقبانِه بقلقٍ.

وَانطلـقَ ثَلاَثتهـم هَارِبين بسـرعةٍ، وَكأَنّهُمْ يُسَـابقونَ الريحَ.. وعَلى مَسَافةٍ ليستْ بَعيدةً كانَ هناكَ جُنديَّيْنِ مِنْ اتباعِ عبد الرحمن يَمْتطيَانِ جَواديْـنِ، وَمَعَهم ثلاثةُ جِيَادٍ أُخْرى. قفزَ كلُّ واحدٍ مِنْهم إلى جوَادٍ وانطلقَ الخمسَةُ بأَقْصى سُـرعةٍ.. وفجَأَةَ اعترضَ طَرِيقَهُم نهـرٌ صَغِيرٌ، فصرَخَ فيهم عبدُ الرحمنِ: لا تتوقّفُوا.. اقفزُوا باسْـمِ الله.. فقَفَـزُوا إلى الجَانِبِ الآخرِ وَهُمْ لاَ يُصدقُونَ أنفُسَـهم.. وَأخِيرًا فِى أقصَى الغَابةِ كانَ هناكَ بيتًا خشبيًّا مُتهالِكًا يتصاعدُ مِنْهُ دُخَانٌ.. دَخلُوا إليْهِ بعدَ أنْ تركُوا الخيْلَ تَرْعَى العشْـبَ.. فُوجِئَ عَمُّ سـعيدٍ وفهـدٍ، بعددٍ كبيرٍ مِـنْ جنودِ الملكِ الرَّاحِلِ الأوفيَـاءِ، الذينَ هَلَّلُوا وحمدُوا الله عَلى عودَةِ فَهْدٍ. ثُمَّ أخذُوا يتشاوَرُونَ فِى كيفيَّةِ التخلُّصِ مِنَ العدوِّ الغَاشِمِ.

وهنَـا قَصَّ عَلَيْهم فهد كلَّ مَا حَـدثَ له عَلى الجزِيرَةِ المهْجُورَة..

تعجَّـبَ الجميعُ وصَـاحَ أَحدُهُم: لابدَّ أَنَّ رئيسَ العـدوِّ لِصٌّ حَقِيرٌ، وزعيـمٌ لِهَـذِه العصَابةِ الخَطِـيرَةِ.. وَإلاَّ فكيفَ وَصَلـتْ حُلِيُّ الملكَةِ هُنَاكَ. أَجَابه الثَّانى: إذنْ ستكونُ البدايةُ مِنْ تلكَ الجزيرةِ المحاطَةِ بالغُموضِ.

انطلقَ خمسـونَ جنديًّا فِـى طَرِيقهم إلى الجزيرَةِ، وهم مُسْـتعدونَ لمعرَكَـةٍ طاحِنَةٍ، وَقَد انتظرَهُم عشـرونَ قاربًا للإبْحَـار. أَمَّا فهدٌ وعمُّ سـعيدٍ، فَلاَبُدَّ لَهُما منَ الراحَةِ بعدَ العنَاءِ والمشقَّةِ الشديدَةِ. وكانَ عبدُ الرحمـنِ هو رئيسُ جماعَةِ المنَاضِلينَ، فبقَـى - معَ منْ بقَى - ينتظرُ الجُنُودَ.

وَفِى اللَّيلةِ التَّاليةِ جلسَ الجميعُ يترقَّبُ، والانفعالُ الشـديدُ يبدُو عَلى وُجُوههم، حَتَّى سَمِعُوا وقْعَ حَوَافرِ الخيلِ تأتِى منْ بعيدٍ، فانطلقُوا جميعًا للخَارجِ.. كانَ المشـهدُ مُفْرِحًا جدًّا وَهُمْ يروْنَ كلَّ جندىٍّ يحمِلُ وَرَاءه أحدَ اللُّصُوصِ مُكبّلاً بالسَّلاَسلِ فِى يدَيْهِ ورجْلَيْه، وَكَانُوا يحملُونَ مَعَهم الصَّنَاديقَ والأكياسَ المحتويَةَ عَلى المسْرُوقَات..

أَصدرَ عبدُ الرحمنِ أوامرَهُ للرجَالِ أَنْ يتبعهُ الجميعُ.. وَمَا إن استردَّ الجميعُ أنفاسَـهُم حَتَّى نظرَ إليْهم قائدُ الجنودِ الخمسينَ العائدينَ مِنَ المعركَةِ بزهْوٍ قائلاً: ألم أَقلْ إِنَّ البدايةَ ستكُونُ فِى الجزيرَةِ المهجُورَة..





وَأَشارَ إلى أفرادِ العصَابةِ المحْكم وَثَاقهُمْ، وهُمْ جَالسونَ ينظرون بِذلةٍ.. لقدِ اعترفُوا بكلِّ شـيءٍ، وإليكَم الأخبارُ التِـى لمْ تكنْ تخطرُ ببَالكم، وأشارَ إلى أَحَدِهم. لقد اعترفَ لَنَا أنَّ الحاكمَ الجديدَ، الذِى هُوَ عدونَا، مَـا هُوَ إلاَّ رَئيسُ عصَابةِ هؤلاءِ اللُّصوصِ قاطِعِى الطِّرِيق، وقد سَوَّلت له نفسُـهُ الخَسِيسةُ بأَنْ يَسْتولِىَ عَلى بِلاَدِنَا، وقد نهبَ هُوَ ورجالُهُ كلَّ مَا اسْتطاعتْ أيدِيهم أَنْ تصلَ إليه فى القصْرِ وخَارِجَ القصرِ أيضًا.

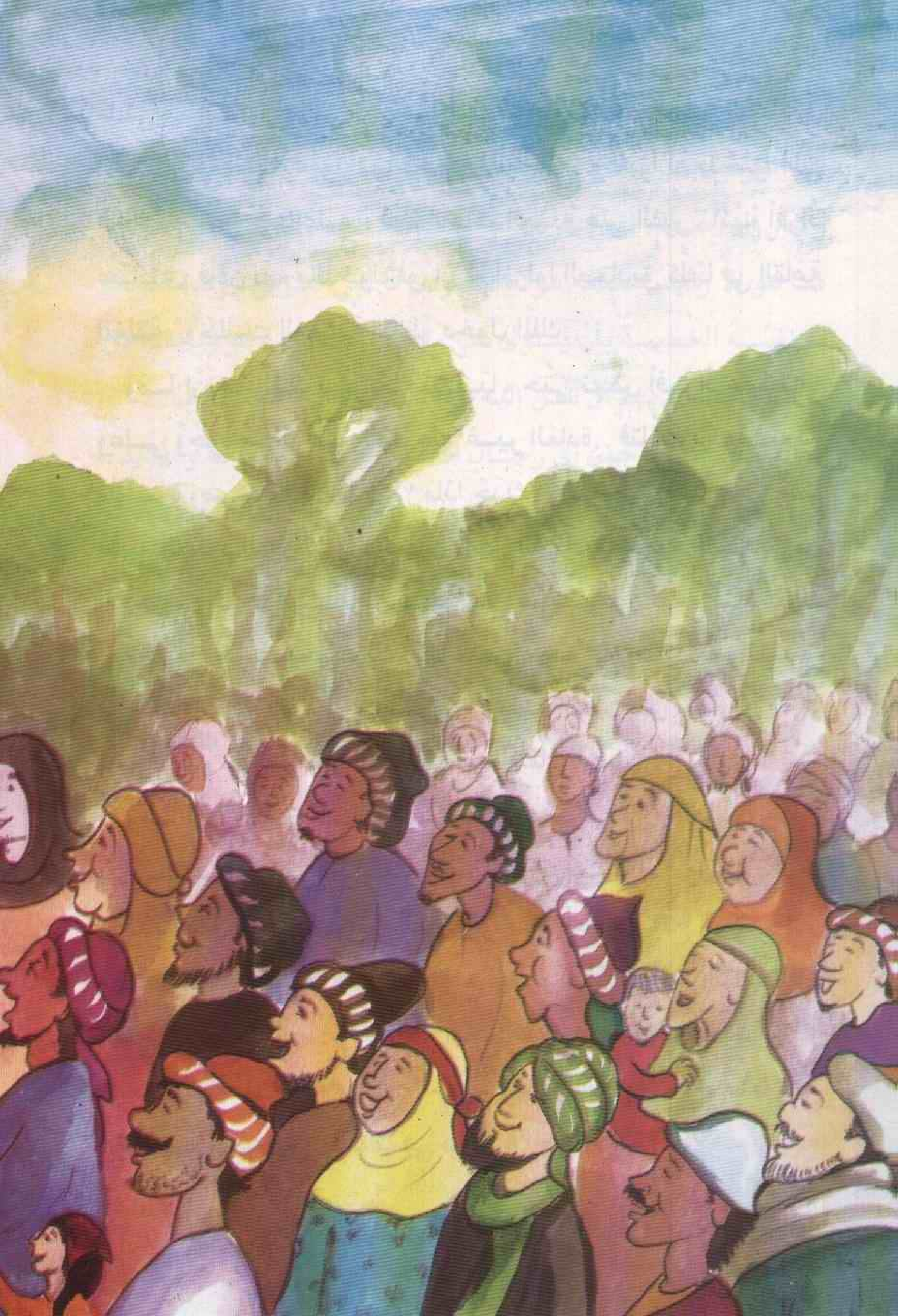
التفـتَ عبدُ الرحمنِ إلى رجَـالِ العِصَابةِ وَسَـألهم بغلظَةٍ وتَهْدِيد: هَـلْ تختارونَ الحياةَ فِى نعيم ذلك الملكِ الحَقِيقى - أَشَـارَ لفهدٍ - أَمْ تَختارونَ الموتَ قَتْلاً فِى التوِّ واللَّحْظَة. ارتفعَتْ أصوَاتُهُم ذليلةً تطالبُ بالصَّفـحِ عَنْهم والبقاءِ عَلى حَيَاتهـم. أردفَ عبدُ الرحمنِ بِحدَّةٍ: إذنْ فعليكُم تنفيذُ كلِّ مَا سَـنأْمركُم بِهِ وإلاَّ.. وسـكتَ والشـررُ يتطايرُ مِنْ عينيْهِ، والعِصابةُ ترتعدُ فرائصُهَا مِنَ الرُّعْب. ثُمَّ اسْتطرَدَ: علمتُ أَنكُم اعْترفتُمْ أَنَّ رئيسَـكُم اللصَّ الأكبرَ، أمرَكُم بأَنْ تأْتُوا إِليْهِ مرةً كلَّ شهرٍ ليلةَ اكتمَالِ القمرِ؛ ليطمئِنَّ عَلى نشـاطِ عِصَابتـه الآثمةِ ويَرَى حصادَ جَرَائِمِكُمْ، وَأَشارَ إلى صناديقِ المسروقَاتِ - وبهَذِه الطَّرِيقةِ ستساعدونَا عَلـى الدخـولِ إليْهِ فِى عُقْرِ دَارِه.. ولتعلَمُوا أَنَّ كلَّ واحدٍ منَّا سـيكونُ سلاحُه قريبًا مِنْ عُنُقِ أَحَدِكُمْ لقطْعِه عندَ أَيَّةِ مُحَاولةٍ للغَدْر..

وَافقَ اللُّصوصُ وقلوبُهُم ترتعِدُ رُعْبًا.. وَمَا إنْ حانَ موعدُ لقاءِ العصابةِ مَعَ رَئيسهِمْ حتَّى تنكَّرَ أفرادُ العصابةِ فِى زِىِّ قافلةٍ مِنَ التجّارِ ووضَعُوا

عَلـى العربـاتِ - التِى تجرُّهَا الجيَـادُ - عَددًا كَبيرًا مِـنَ الصناديقِ الخشـبيَّةِ، التِى زَعمُوا أنهَا مُحَملَةٌ بالبضَائع. وَطَلبوا أنْ يدخلُوا عَلى الحاكـمِ ليعرِضُوهَا عليه.. فهمَ الحاكمُ العـدوَّ عَلى الفور، أنهُمْ أفرادُ عِصَابته، فَأَذِنَ لَهُم بالدخُولِ فورًا، ثم أنزلُوا الصناديقَ كلَّهَا فِى القاعَةِ المغلقَةِ، وجَلَست العصابةُ تنتظرُ دخُولَ المَلِك..

وَمَـا إنْ جاءَ الملكُ سـريعًا مُنتشـيًا، حتَّى نهضَ أفـرادُ عِصَابته، وعَلـى وُجُوههُم الرُّعْبُ والذلُّ عَلى غـيرِ العَادة.. فتلفَّتَ بخوفٍ يُمنَةً ويُسْـرَةً وصَرَخَ فِيهم: مَا بكُمْ؟ مَاذَا حَدَثَ؟ أَخْبرونِى بسُـرْعةٍ.. وَهنا دَفَـعَ الجنودُ الذينَ كانُوا مُختفينَ داخلَ الصناديق أغْطيةَ الصَّناديقِ مِنَ الداخلِ، وخرجُوا شـاهرينَ سُـيُوفَهم وهُمْ يَصِيحُونَ فِيه: سـنخبرُكَ - نحنُ - بمَا سـيحدُثُ لكَ أيُّهَا اللصُّ.. وسُرْعانَ مَا كَبَّلُوهُ وانتشرُوا فِي أنحاءِ القصْرِ يُقَاتلونَ ويأْسِـرونَ الأعـداءَ الذينَ قُتِلَ مِنْهم مَنْ قُتِلَ، وأُسِرَ مِنْهُم مَنْ أُسِرَ وَفرَّ الباقِى كَمَا يفرُّ الفأرُ الجبَانُ..

وَمَـا إنْ لاَحتْ تباشِـيرُ النَّصرِ حَتَّى اندفعَ فهـد إلى الطابقِ العلوىِّ يبحَـثُ عَنْ أُمِّه التِي أَحسَّـتْ بالفَوْضَى، وَسمِعَـت الأَصْواتَ العاليةَ، وأخذَتْ تدقُّ البابَ بِشدَّةٍ مِنَ الدَّاخلِ وتصرُخُ مُطَالبةً بِفَتْحِ البَابِ.. كانَ فهد ممسِـكًا بحربَةٍ وسـيْفٍ، فدفعَ الحربةَ بِقوَّةٍ فِى قفلِ البابِ الذِى انفتحَ عَلى مِصْراعَيْه.. وَقفت أُمُّه أَمَامه غيْر مُصدِّقةٍ نفسهَا، وهو ينظرُ إليهَا مُبتسـمًا.. أَلْقَى مِنْ يَدِه الحرْبةَ والسَّـيْفَ، واندفعَ مُتعلقًا بِأُمِّه التِى تَشَبَّثَتْ به، وراحتْ تَبْكِى منْ فرْطِ الفرحَة..





وَمَا هِىَ إلاَّ أَيَّامٌ معدودَاتٌ حتَّى اسـتطاعَ الجنودُ التخلُّصَ مِنَ العدوِّ والسيْطرةَ عَلى كلِّ مَرافقِ المَمْلكَة. ولَمْ ينسَ عبدُ الرحمنِ أَنْ يُوقعَ العقابَ عَلـى صاحبِ المطعمِ وزوجَتِـهِ اللّذيْنِ أنكرَا وجـودَ أَىِّ خاتم معهمَا.. وعندَ تفتيشِ المكانِ الذى يعيشان فيه عثَرَ عَليه الجنودُ فِى علْبَةٍ دَاخِلِ خَزَانةِ الثِّيَاب.. وَاقْتِيدَا للسجنِ بتهمَةِ سرقةِ الفتَى الصَّغيرِ، وَالكَذِب عَلى الشُّرطةِ.

أَمَّا الجَزيرةُ المهْجُورَةُ فأمرَ فهدٌ ببنَاءِ بيوتٍ للصيَّادين فيهَا، وسُمِّيتْ بِجَزيرَةِ الصيادينَ بعدَ أَنْ عرفَ الجميعُ أَنَّ قصصَ الجَان وَالأشبَاحِ كُلَّهَا أَكَاذِيب وافتراءَات نسجهَا اللُّصوصُ وتناقلَهَا الناسُ وصدَّقُوهَا..

وَفِى يـومِ الاحتفالِ بالنَّصْرِ، وقفَ فهد فـوقَ المنصَّةِ وَوَالدتُهُ الملكةُ عنْ يَمينهِ، تتزيَّنُ بحُليهَا الثمينةِ، وعنْ يَسَـاره مُعلمهُ المخلصُ الذِى حملَ التـاجَ أمامَ جمُوعِ الشـعبِ وَوَضَعهُ فوقَ رأسِ الملـكِ فهدٍ. وعيَّنَ مُعَلِّمَـه وَزيرًا ومستشَـارًا له.. وكانَ عمُّ سـعيدٍ يقـفُ بجانبِ معلِّمهِ الوَزير بمَلاَبسِـهِ الفخْمَةِ بَعْدَ أَنْ جعلـهُ الأَميرُ مِنْ خَاصَّتهِ المقرَّبينَ.. ووسطَ تَصْفِيق الجَمِيع وَهِتَافهم لفهْدٍ، كانتْ تتَرَائى لعينيْهِ صورةُ أبيهِ الرَّاحِل، وصوتُهُ الحبيبُ يرنُّ فِى أُذُنيْهِ وهُوَ يقولُ بَاسِمًا:

ستكُونُ خيرَ ملكٍ حكمَ هَذِه البِلَاد.